مجلة المرابط

العدد : ١٩٥ الموافق في رمضان ١٤١٨ هجري ١٩٩٧/١٢ ميلادي

عنوان المقال : السبيل إلى تعاون مثمر	بقلم : صلاح الدين النكدلي

في لقاء ضم نخبة من العاملين في الحقل الإسلامي ، مشاربهم متنوعة ، تحدثت في خواطر تحت عنوان « السبيل إلى تعاون مثمر » فكان من جملة ما قلت :

من المعلوم لدى حملة الفكرة الإسلامية أن « الحركة ولودٌ والسكون عاقر » فإذا أردنا أمراً فإن علينا أن نتحرك باتجاه تحقيقه ، وإلا كنا { **كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه** } [الرعد:١٤].

ومن المعلوم أيضاً أن الأجسام لا تتحرك إلا إذا توفر لها قوتان :

١- قوة تتغلب بها على « المقاومة الذاتية » والمقصود بذلك « الثقل » ويقابله في الإنسان أمور كثيرة كـَ « الجهل ، والشبهات ، والشهوات : حب الدنيا ، عشق الذات ، الحسد ، الرياء ، الإعجاب بالرأي... » .

٢- وقوة تتغلب بها على « المقاومة الخارجية » والمقصود بذلك « الاحتكاك بالأرض والهواء ونحو ذلك » . ويقابل هذا عند الإنسان أمور كـَ « الأطماع الخارجية ، والظلم السياسي والاجتماعي... » .

ونعلم جميعاً من نصوص الوحيين ؛ القرآن الكريم والسنة المطهرة :

* أن التنازع والتفرق شر : { **ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم** }[الأنفال:٤٦].

* وأن التعاون واجب : { **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** } [المائدة:٢].

* وأن هناك واجبات لا تتحقق إلا باجتماع جهود وقلوب : { **إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص** } [الصف:٤].

والسؤال المحير : إذا كان دعاة الإسلام يعلمون ما أشرنا إليه من الأوامر الربانية ومن الحقائق الحياتية ، فَلِمَ لا يعملون بها كما هو حالهم مع غيرها من الأوامر ؟!

الجواب ببساطة : لأن هناك أزماتٍ تمنعهم من سلوك طريق القوة والعزة . وبما أن الأزمات المانعة للتعاون كثيرة ، فسأكتفي بالإشارة إلى عدد منها تدل على أننا في حاجة إلى انقلاب عميق الجذور حتى نتمكن من بناء قاعدة فكرية أخلاقية جماعية .

أولاً : أزمة « التعددية » فالعاملون يعترفون « نظرياً » بحق التعدد في الآراء إذا تعلق الأمر بمسائل اجتهادية ، ولكنهم « عملياً » يحرِّمون التعدد ، ويظهر هذا في « الاتهام » للمخالف بدلاً من « التخطئة » أو في إنزال « التخطئة » منزلة « الاتهام » !!.

ثانياً : أزمة « الشيخ والمريد » : فما زلنا نعيش في أوضاع يتحكم فيها مزاج القيادة ، وهي في الغالب قيادة فردية ، ولم نتمكن من إقامة عملنا الجماعي على مؤسسات قادرة على التفكير والتقرير وقيادة عمل جماعي هادف ، وذلك على الرغم من نقدنا اللاذع للأوضاع السياسية التي لا تتوفر فيها ضمانات العمل الشوري.

ثالثاً : أزمة « الإقصاء » أو « الإلغاء » : وهذا الموقف النفسي من نتائج الصراع بين « الفكرة الإسلامية » و « الفكرة الغربية » ، فقد ألقى الصراع في روعنا أن من مقتضيات الإسلام أن نلغي الفكر الآخر « الوافد » أو نقصيه ، وأعني بذلك أصحابه . وانعكس هذا الموقف على العلاقة بين فصائل الحركة الإسلامية للأسف الشديد ، فلم يعد مقبولاً خلاف التنوع لأنه اعتبر اختلاف تضاد !!.

رابعاً : أزمة « الأصالة والمعاصرة » : وأحياناً تطرح تحت عنوان « الاتباع والابتداع » ولذلك نرى فريقاً من العاملين الذين تعمقوا في دراسة الماضي فانشدوا إليه وقاموا بإسقاط أولوياته وهمومه على الحاضر . وفي المقابل نجد فريقاً ركز اهتمامه على الحاضر ومشكلاته ففاته بعض من منهجية الماضي . واتهم كل فريق الآخر بما ينال من عقله أو إيمانه أو إخلاصه !!.

ولا ريب في أن موقف العدل يقول : لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، وهذا يعني أن التمسك بالمنهج الذي جاء به النبي ﷺ في العلم والعمل هو الذي يخرجنا مما نحن فيه من خلافات حادة.

خامساً : أزمة « الحركة » و « الفكر » : ويتجلى ذلك في الصراع بين « النصوصية » و « العقلانية » الذي أدى لدى قطاع كبير إلى تهميش دور العقل في إبداع صور عملية تناسب ظروف العصر وملتزمة بمنهج الإسلام ، وأدى أيضاً إلى بروز آراء وممارسات خارجة من رحم الفكرة الغربية ويراد لها باسم العقلانية أن تُعتمد في الفكر والسلوك .

ونحن - والحمد لله - أمة فهمت النقل « النصوص » بالعقل ، وضبطت العقل بالنقل . فمن ألغى العقل في فهم النص فقد أخطأ ، ومن تجاوز حدود النقل - ولو متأولاً - فقد أساء.

سادساً : أزمة « توصيف الواقع وتحديد طريقة التعامل معه » : فالدولة العلمانية التي أقيمت بحراب الغرب وفُرضت على المسلمين ، والتيارات الفكرية الوافدة التي تمثلت بأحزاب وسلوكيات اجتماعية واقتصادية وأخلاقية... أدى كل ذلك إلى خلاف في تحديد أبعاد هذا الواقع وفي معرفة الطريقة الشرعية المناسبة للتعاطي مع هذه المتغيرات في المجتمع الإسلامي . وأدى هذا الخلاف إلى ألوان من الاتهامات ،

عنوان المقال : السبيل إلى تعاون مثمر	بقلم : صلاح الدين النكدلي

وغرس في القلوب والمشاعر الكراهية والبغضاء ، وأصبحنا نشعر بالفرح يغمر أناساً حين يصاب تيار إسلامي من قبل السلطة الحاكمة ، أو من قبل عدو مستعمر ، نتيجة اختياره أسلوباً في التصدي للمشكلات !!.

سابعاً : أزمة « الاحتواء الحركي » : فالجماعات والشخصيات حين يُبدون الرغبة في التعاون مع عاملين آخرين ، نجد أنهم يضعون لأنفسهم من الشروط ما يجعل تعاونهم مع الآخرين محدوداً بلقاءات يُظهرون فيها المودة والرغبة في التعاون ، وننظر في الواقع العملي فلا نرى أثراً لهذا التعاون إلا في أمور ثانوية جداً .

❋ ❋ ❋

والهاجس الأكبر المانع من خطوات عملية وفكرية هو إصرار كل طرف ، فردي أو جماعي ، على استقلال شخصيته وخوفه أن يُحتوى من قبل إخوانه الآخرين !!.

ثامناً : أزمة في « صور الوحدة الملزمة شرعاً لجماعات الدعوة » : فصورة العمل السياسي والاجتماعي والدعوي مأخوذة عن « الخلافة » : أمة واحدة وحاكم واحد . وهذا يشير إلى فقر في « الفقه السياسي » الذي يتعامل مع الظروف ويُبدع في استنباط صور الوحدة المناسبة للمكان والزمان والإنسان . وعدم وجود صور اجتهادية يجعل التلاقي بين العاملين مُشعِراً برغبة فريق في الهيمنة على الآخرين !!.

تاسعاً : أزمة في « الأخلاق » على مستوى القيادة فضلاً عن القاعدة : وهذا نلمسه في صور بسيطة جداً ، فعندما يتحدث كثير من القياديين عن الآخرين واختياراتهم ، فإنهم يضعون رأيهم ضمن هالة من القداسة ويغمزون بالآخرين من حيث يشعرون أو لا يشعرون ، فيؤدي هذا إلى تأزيم القاعدة التي تسير معهم ، وينشأ عن هذا « الاتهام » بما يجره من سوء ظن وغيبة وطعن في الإخلاص ونحو ذلك . وذكرت في هذا المقام أبيات أحمد شوقي :

ربوا على الإنصاف فتيان الحمى تجدوهمُ كهف الحقوق كهولا
فهو الذي يبني العقول قويمة وهو الذي يبني النفوس عدولا
ويقيم منطق كلِّ أعوج منطقٍ ويريه رأياً في الأمور أصيلا

وإذا المعلم لم يكن عدلاً مشى روحُ العدالة في الشباب ضئيلا

عنوان المقال : السبيل إلى تعاون مثمر	بقلم : صلاح الدين النكدلي

وإذا المعلم ساء لحظ بصيرةٍ جاءت على يده البصائرُ حولا

وإذا أتى الإرشاد من سبب الهوى ومن الغرور فسمِّهِ التضليلا

من هذا العرض " البرقي " لعدد من الأزمات المؤزمة للعلاقات بين الجماعات والدعاة إلى الله تعالى يتبين أن السبيل إلى تعاون إسلامي مثمر يتطلب إعادة ترتيب الأفكار ، وهذا لا يتم إلا بإعادة ترتيب المعلومات... وفي حدود حديثنا أدعو إلى :

١- الإقرار القلبي بالتعددية في الساحة الإسلامية .

٢- إنهاء حالة الشيخ والمريد وبناء الجماعات على العمل المؤسساتي .

٣- تربية الأجيال على أخلاق الداعية وإبعادهم عن صفات القاضي .

٤- تحريك القدرة الفكرية وتنميتها حتى تساعد في فهم أفضل للنصوص وللواقع .

٥- إعادة النظر في دلالة « المصطلحات » وكيفية التعامل معها : (الأصالة ، المعاصرة ، القطرية ، العالمية ، ... الخ) .

٦- إعادة بناء الجانب الأخلاقي الجماعي .

٧- اعتماد المرحلية في الدعوة وفي العمل لبناء تعاون إيجابي ، فمن تعجل الشيء قبل أوانه عُوقب بحرمانه .